

حول مشروع اللغة العربية الأساسية

الكتور ابراهيم مرهون الصفار

البحث المطلق في العربية الأساسية من حيث هي موضوع علم نظري ، ولكن الغاية بسط هذا المشروع الذي وضعته للبنان ولعدد من الاطمار العربية مؤسسة فورد الأمريكية وهي التي تموله . والداعي إلى عقد هذا المقال اليوم هنا تنبئه انكار العائدين في حقل اللغة العربية إلى الاخطار التي ينطوي عليها هذا المشروع من الجانب المنوي تطبيقه .. ثم استطرد متحدثا عن جلسات مؤتمر تحديد اللغة العربية الأساسية الذي دعا إليه المركز التربوي للبحوث والإنماء في وزارة التربية الوطنية اللبناني حيث استضاف المدعوين إلى المؤتمر مؤسسة فورد المذكورة وحيث عقد المؤتمر في شهر حزيران من عام 1973 م وفي حديثه هذا سجل لنا ملاحظات مهمة لم نجدها في المشروع المنشور وإنما هي مناقشات دارت بين المؤتمرين وكتشت نوايا بعضهم في سبب دفاعهم عن هذا المشروع والتزامهم بنهجه وطريقته مما يكشف خطر المشروع على العربية الفصحى . أما ملاحظاتي التي أود أن أضيفها إلى مناقشات الدكتور عمر فروخ فهي أنه يمثل دعوة جديدة للاستفادة من آخر ما توصل إليه العلم الحديث من

كتب الدكتور عمر فروخ مقالا في (مشروع العربية الأساسية) عرض المشروع وتبيان خطره على الفصحى) ونشره في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد الثامن والأربعون الجزء الرابع لشهر تشرين الأول 1973 – رمضان 1393 ص 817) حين قرأت هذا المقال لم أكن قد اطلعت على صيغة المشروع ولم اسمع به حتى وملتني نسخة منه فتلقتها بلهفة من يطلب الحقيقة ، ويفى العلم ، وينشد الخير كل الخير للفنه وأمته ، ثم عدت إلى مقالة الاستاذ الفاضل الدكتور عمر فروخ اترأها مرة أخرى وانا ابارك الروح العالية والمهمة العظيمة التي تدفع اندادا من امتنا العربية للذود عن لفتها ، وتوجيه الانظار إلى الاخطار المحدقة بها ، وتقويم السبل إلى تعليمها وتبصيرها ، واضفت الى ما كتبه صاحب المقال الفاضل بعض الملاحظات التي أود أن أسجلها هنا راجية ان اسهم في تبيان بعض اوجه الخطأ في تطبيق مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية .

ذكر الدكتور فروخ أن الغاية من مقاله ليست

التفكير بهذه النتيجة ، كاف لرفض وسيلة تطبيق هذا المشروع . والامة العربية كلها تدعو الى رفع الحاجز الذى تفصل بين ابنائها فى ارجاء الوطن العربى وتوكيد العايمية وادخالها فى اللغة الاساسية يعنى تعميق وترسيخ عائق كبير من العوائق التى تحول دون الوحدة العربية .

2 — ان اخذ العايمية بنظر الاعتبار واعطائها الاولية فى الاصحاء يعنى اشاعة العايمية والهجة المحلية وتصعيدها فى كل قطر عربى ونسیان اللغة العربية الفصحى الذى تمثل الرابط القوى الذى يربط الامة العربية بعضها ببعض ، وتعرف العربى بأخيه العربى فى اى مكان وجدا من العالم .

3 — ورد في الصفحة الثالثة من المشروع (يجب ان نعرف ما يملكه التلبيذ اللبناني الذى يبدأ دراسة اللغة العربية عند وصوله الى المدرسة فنها يخص العربى هو يتكلم العايمية التى تعلمتها فى حضن امه ، وفي عائلته وبين اترابه ، بالنسبة اليه لفته الام هي هذه ، لهذا وجب علينا ان نعرف هذه اللغة فى صوتياتها ..)

لو قيل هذا قبل خمسين عاما او اكثر لوجدنا له مبررا لأن العربى في لبنان او مصر او المراقب يحكم واقعه المختلف والجهل المطبق على الاسرة في المجتمع العربى آنذاك جعل معرفته لعربته الفصحى محدودة . أما اليوم فان اطفالنا يستمعون الى الراديو ويشاهدون برامج التلفزيون ، ويستمعون كل يوم الى شتى الاحاديث والبرامج بالعربى الفصحى فلا بد ان يعلق في اذهانهم شيء منها ، حتى اذا دخلوا المدارس لم تكن مفردات لغتهم من العايمية ، وحدها ولم يكن ذهنهما ملتفتا على ما سمعوه في عائلتهم فقط بل كثيرا ما يدخل اطفالنا المدارس وهم يحفظون أناشيد باللغة العربية الفصحى .

4 — ورد في الصفحة العاشرة (ليس المقصود التعرض للغة الماضى لا شيء الا لأن مسها لا يجوز لاسباب يمليها العقل والمنطق السليم ، فالعربى القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت ، وليس المقصود ايضا التضحية بالماضى بل تيسير الوصول اليه بأرجاء دراسته الى مرحلة لاحقة يكون التلاميذ قد أعدوا

وسائل الاصحاء وهو استعمال العقل الالكتروني لدراسة احصائيات لفردات العربية الفصحى والعايمية اللبنانية) وتراكيبها النحوية للوصول الى لغة أساسية مشتركة تيسر تعليم اللغة العربية للطلبة في المرحلة الابتدائية وتيسر تعليمها للأجانب من يرغبون في تعلم لغة العرب .

لو صدقنا نوايا القائمين على هذا المشروع واتخذوا نهجا شعريا لتوصلا حقا الى غايات علمية وتربيوية (كما نص على ذلك في المشروع نفسه) الا ان المنهج الذى وضع له يؤدى الى مردودات سلبية تمحو الغرض الجليل الذى يرتجى منه .

1 — ورد في الصفحة التاسعة (ليس المقصود بالعربى الأساسية ما يجب ان تكون عليه اللغة (بحسب معايير جامدة وافتتح المصور الماضية) او ما يمكن ان تكون عليه بحسب مشاريع اصلاحية وتحديثية قد اقترحها اناس مهتمون بالتجديد ولكن بذهنية تستند في اصلاحاتها الى الرجوع لهذا او ذاك من الشواهد النادرة التي وردت عند التدamsi) المقصود فقط وصف اللغة كما هي بطريقة موضوعية وعلمية وتعيين توافر المفردات والتراتيب) .

ان اللغة العربية اثبتت حيويتها وتدرتها على التطور والتجدد ومواكبة التطورات في مختلف المصور ، اللغة التي استطاعت ان تخرج من نطاق الصحراء وتعبيراتها الضيقية الى عالم الحضارة الواسع لتعبر عن كل ما جد في هذا العالم الجديد من علوم وفنون وصطلاحات ، هذه اللغة نفسها قادرة على مواكبة التطور الحديث في عصرنا هذا .

ان الدعوة الى وصف اللغة كما هي واستخراج المفردات والتراتيب التي تشكل اللغة الأساسية منها ، هذه الدعوة تعارض ما تدعو اليه الجامع العربية والدول العربية شعوبا وحكومات لتعريب العلوم والمصطلحات ، لأن وضع اللغة على ما هي عليه الان يعني مثلا ابقاء اللغة الفرنسية في المغرب العربي وجعلها اللغة الأساسية لأن الاستعمار الفرنسي ادى الى شيوخ اللغة الفرنسية بين اوساط العرب والمسلمين فلما تحررت دول المغرب العربي عمدت الى التخلص من التركيبة الاستعمارية في لغتها والعودة الى اللغة العربية الاصيلة . ان مجرد

او مسيحيا يأخذ بنفس وسائل الثقافة التي يأخذ بها ابناء عصره ، ويتأثر بكل التيارات المحيطة به وبالتالي فان النص على تمييز العينات في هذه الناحية ، تد يؤدي الى تعميق الفوارق ، وترسيخ الخلاف في مجتمع ينشد الوحدة والالفة بين ابنائه .

6 - ان استخراج العربية الاساسية ، باخذ عينات في تصنص ومسرحيات مؤلفة بالعامية ، ونصوص محكمة بالعامية ايضا امر مردود وغير مقبول لاسباب التي سبق ذكرها ، واذا كانت هناك وسيلة للوصول الى اللغة العربية الاساسية لا للبنان ومصر والعراق فقط بل لكل الامة العربية نهى تم باخذ عينات في الكتب المكتوبة بالعربية الفصحى فقط والمؤلفة في شتى الميادين الادبية والاجنبية والسياسية بهذه تتمثل بالتأكيد اللغة الحية التي جسدت الفكر العربي المعاصر واللغة المشتركة التي يقرأها العرب جميعا ويفهمونها جميعا بغض النظر عما هم عليه في لهجات محلية .

فيها اعدادا كافية لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية تهدف اذن وقبل اي شيء آخر لا الى تبسيط اللغة بل الى تيسير تعليمها لتلامذة المرحلة الابتدائية) ١(.

ونحن نقول اذا تعذر علينا ان نعلم الطفل اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية ونسير معه بتدرج يوافق تفكيره وعمره فكيف يتيسر له ان يتعلّمها في مرحلة لاحقة ؟ (١) .

5 - وضعت في المشروع شروط العينات لاستخراج العربية الاساسية (ص ٤٠) (المدارس الرسمية والخاصة ، الذكور والإناث ، المدينة والريف ، المسلمين والمسيحيون) .

ان توزيع العينات على مختلف القطاعات الشعبية فكرة جيدة ومحبولة الا ان النص على اختلاف الديانة فكرة مرفوضة لأن العربي مسلما كان

(١) وهذه هي الطريقة التي كانت متبعة في البلاد العربية أيام ازدهار الفكر والحضارة ، اذ كانوا يبدلون بتعليم القرآن وحفظ أشعار العرب والفصيح من الكلام كتصبح ثعلب . وانظر ابن خلدون في هذا الصدد .